

الشعر هو أعم  
الفنون أمة وأقواها  
تحدياً لسياجات الزمان  
والمكان . يستجيب  
للشعر ، اذا كان جيداً  
حقاً ، الفرنسي والارسي  
والانكليزي والروسي

# التم اللباني المعاصر

## في واقعِهِ ومحتله

بقلم: رُيف خوري

الانتفاع بدلالاته  
التاريخية ، ولكنهم  
على الجملة يرتكزون  
ويظهرون الفشل حين  
يتصدون للجهة  
الاستاتيكية من هذا  
الشعر .

فالشعر - واعيد القول - متحد اتحاداً عضويًا باللغة التي  
يسبك بها . واللغة ، من بعد ، ليست بالشيء الذي يقحم عليه  
المرء نفسه اقحاماً ، ولا سيما اذا كانت بغيته منها العبارة الشعرية .  
والى ذلك تراني اشك في جدوى أدب ، ولا سيما شعر ،  
ينشئه صاحبه بلغة غير لغته الام . اذا وفق حقاً صاحب هذا  
الشعر - وقليلًا ما يوفق - فوجد استجابة في نفوس اهل اللغة  
التي بها ينظم - فهم يقرأون شعره لانه شعر جيد وكفى ،  
ويصبح عندئذ لاحقاً بأداب اللغة التي بها شعر . واذا لم يوفق  
- وهذا ما يقع له في غالب الاحيان - لا يظفر شعره بأكثر  
من نفر يقرأه على أنه انموذج لا على انه شعر . وليس من باب  
المصادفة ان آداب الامم الحديثة لم يعرف أدب منها شاعراً  
كبيراً فرض نفسه على ذلك الادب وكان أجنبي الجنس  
والنشأة . ان جبران خليل جبران وأمين الريحاني لم يدخلوا في  
الشعر الاميركي الى جانب والت ويتن . وأنا أرتاب في ان  
يأتي يوم يذكر فيه شارل القرم وايلي تيان وهكتور خلاط  
وفؤاد ابي زيد وميشال شيحا وجورج شحاده وسوامم الى  
جانب اليوار واراغون في مجاميع الشعر الفرنسي وتواريخ  
الادب الفرنسي .

على ان هذا لا يعني مني تنكراً لتعلم اللغات الاجنبية ، أو  
لارسال الشعر بها ، فالعصر عصر اخذ وعطاء بين الشعوب .

واللغة أولى الحاجات الحيوية  
الضرورية لهذا الاخذ والعطاء .  
ولشد ما يضحك اولئك الذين  
يظنون انهم قد ذهبوا الى عمق  
يفوق عقولنا الساذجة حين  
يؤكدون ان اللباني ينبغي له  
ان يكون ثنائي اللغة ، كأن  
تلك ليست حال كل من اخذ

والهندي والاميركي ، في كل عصر وبيئة . ومع ذلك فالشعر  
اشد الفنون انطباعاً بالطابع القومي وأكثرها تأثراً بلامح  
الوطن والبيئة والعصر . ومن هنا كان الشعر لا يُدّاق ، ولا  
يسلم اسرار جماله ، الا لقاريء او سامع يحمل مفتاحين على  
الاقل : مفتاح اللغة التي نُصّب في قوالها هذا الشعر ، ومفتاح  
التاريخ الذي به يأخذ القاريء او السامع بحظ من معرفة  
البيئة والعصر اللذين انبتت فيها ذلك الشعر . فالتضلع من اللغة  
التي أدي بها الشعر ، والتمكن من وجوه بلاغتها الظاهرة  
والخفية ، كل ذلك شرط حيوي في من يتصدى لقول الشعر  
وفي من يتصدى لفهمه والتمتع بما اشتمل عليه من روعة . واقرب  
البراهين على ذلك ، اعني على اتحاد الشعر اتحاداً عضويًا باللغة  
التي يؤدي بها أصلاً ، ما نشهده ويشهد به التاريخ من اخفاق  
المترجمين للروائع الشعرية ، حتى قال الجاحظ احد اساتذة  
الاستاتيقي العربي : « الشعر لا يستطيع ان يترجم ولا يجوز  
عليه النقل ، ومتى نُحول تقطع نظمه وبطل وزنه وذهب حسنه  
وسقط موضع التعجب » . واذا كان قد نجح بعض تراجم  
الشعر مثل فيترجرالد مترجم الحيام الى الانكليزية ، فهؤلاء  
قلة نادرة جداً ، وهم من بعد ليسوا مترجمين بمعنى الكلمة ، وانما  
هم شعراء ادوا أثراً شعرياً وفقوا الى تمثله وممازجته بأثر شعري  
آخر يشبهه ولكنه يختلف عنه . ومصداق هذا الحكم سهل

يسير . حسبنا ان تقابل رباعيات  
الحيام الى رباعيات فيترجرالد .  
ومن البراهين القريبة على  
اتحاد الشعر باللغة التي يؤدي بها  
اتحاداً عضويًا ما نلمسه من عجز  
المستشرقين عن تبين مكان الجمال  
في الشعر العربي . فانهم ربما بلغوا  
الى فهم معناه فهماً جيداً ، والى

نشرت «الآداب» في عددها الشعري الممتاز  
دراسة عن الشعر اللباني الحديث بقلم الاستاذ  
موريس صقر . وهي تنشر هنا دراسة اخرى  
في الموضوع نفسه يعالج فيها الاستاذ رُيف  
خوري مشكلات وقضايا للشعر اللباني لم يعرض  
لها الاستاذ صقر في دراسته .

بمخبط من الثقافة انكليزياً كان او اميركياً او فرنسياً ، فأى متقف في الشعوب المتطورة الا وقد درس لغة ، وفي احيان ، لغتين الى لغته الام .

وانما عنيت حين قدمت ما قدمت فيما يتعلق بتجربتنا قول الشعر بلغة اجنبية اننا ما ينبغي لنا ان ننسب الحدود التي تحد من مدى هذه التجربة وتضيق عليها .

اني افهم حين يقال الشعر اللبناني شعراً بالعربية ، ولا اعتقد ان سيأتي يوم اذا قيل فيه الشعر اللبناني اسرع الى الذهن شعر بالفرنسية او الانكليزية او سواهما .

\*\*\*

وهذا الشعر اللبناني بالعامية اللبنانية ؟

حسبي ان اقول ان هذا الشعر العامي اللبناني الذي افقن فيه اعلام مثل رشيد نخله في « محسن الهزان » وميشال طراد في « جنانر » واميل مبارك في « اغاني الضيعة » واسعد سبابا في مجموعة « من قلبي » وعبدالله غانم في « اغاني العندليب » وعمر الزعني وغايي اسكندر حداد وميشال قهوجي واسعد السبعلي وكثير غيرهم من لم اقصداذ فاتني اثبات اسمائهم ان انكر عليهم مواهبهم في حيث تجلت مواهبهم ، هذا الشعر اللبناني العامي الذي ادهشنا بما ساوقه من قدرة على الارتجال عند شعراء فطرة ، فياضي القريجة ، سراع البديهة ، أمثال اسعد الحوري ، شحورر الوادي ، وغيره من لا يعني سكوتي عنهم الا جهلي أو ضعف الذاكرة ، هذا الشعر اللبناني بالعامية يتمتع بميزة خاصة ، تسلحه بأمضى سلاح في معركة البقاء والانتشار والازدهار . فلقد رددنا اكثر من مرة ان الشعر متحد اتحاداً عضويماً باللغة التي يؤدي بها . وكلما كانت عبارة هذه اللغة أسرع الى ذهن الشعب زال حاجز من الحواجز التي تحول بين الشعر والاستجابة الفورية له في نفوس قرائه وسامعيه . ولان العبارة التي يرسل بها هذا الشعر هي عبارة اللغة التي يتكلمها الشعب ، وبالتالي يفهمها في غير مشقة ، بل يسيغها اساعة الماء ، فان هذا الشعر حري بان يكون اقوى صدى في ضمير الشعب واشد تحريكاً وهزاً لاعماقه ، واغنى عطاءً في المتعة .

ولكن لا بد من احتراز . فهذه العامية التي يؤدي بها هذا الشعر غير مستكلمة شروط الكون لغة . بالفصحى تقول مثلاً : « لا أريد » ، صورة واحدة لا تتغير . فماذا تقول بالعامية ؟ منا من يقول : « ما يريد » . ومنا من يقول :

« ما يريدش » . ثم منا من يقول : « ما يريد » . وآخرون يقولون : « ما ريدش » . وآخرون أيضاً يقولون : « ما بريدشي » أو « ماريدشي » . وهكذا تتعدد صور العبارة الواحدة بحيث نجد انفسنا امام عاميات لبنانية متنوعة لا امام عامية واحدة . ومن ثم كانت العامية اللبنانية تحتاج الى توحيد وتثبيت ، وبالتالي الى ضبط النطق بالفاظها ووضع صرف ونحو لمفرداتها وجملها عدا الاصطلاح على رسم لاملائها . ولا ادل على هذه الفوضى التي تتخبط بها العامية اللبنانية ، مما يقصر بها عن ان تكون لغة حقاً ، من هذا الخلط في املائها حتى ليرتبك القارئ في قراءة المكتوب بها ، وهذه الحرية المطلقة في ما اسميه تعذيب الكلمات ، تارة نمط وطوراً تُقلص فعل الطفل باذني هرة يلاعبها . يقول ، مثلاً ، صديقي الشاعر المجنح الاستاذ ميشال طراد :

عا طريق العين على التكتكي  
والقمر عا كنف صين متكي

ان هذه القمة الحبيبة جارقي في الجبل واسمها صنين بهذا الدين والموسيقى في اللفظ ، ولا ارضى حتى لو اتكأ القمر على كتفها ان تصبح صنين .

وفي الوقت نفسه تخلو العامية من كثير من قوالب الاداء البليغ الذي تطوع له الفصحى . يقول مثلاً الشاعر الفصيح ابو العنايه :  
لنقل الصخر عن قن الجبال احب الي من من الرجال  
وكل حيلة العامية في هذا البيت ان تقول : نقل الصخر من قن الجبال احب الي من من الرجال . وشتان في القوة بين البيت الفصيح وهذا القول بعد اسقاط لام الابتداء .

ومجال القول واسع في وجوه تقصير العامية عن الفصحى . وانه لطبيعي هذا التقصير ما دامت العامية لم تتمرس بما أتيح للفصحى ان تتمرس به في تاريخ طويل . العامية لغة الحياة كما يقال . ولكن أي حياة ؟ يكفي ان اقول إنها الحياة العادية في السوق والبيت ، حياة محدودة الاق !

واذا كان الذين ينصرفون شطر العامية اللبنانية يريدون بذلك ان يحلوها محل الفصحى وقيموا الشعر العامي مقام الشعر الفصيح ، فانهم لواهمون . فالعربية الفصحى لاني لبنان فقط ، ولا في هذا الجبل فقط ، قد واجهت العامية وواجه شعرها الفصيح الشعر العامي . ففي مصر عامية ولها شعر خاص ، وكذلك في العراق وفي مضارب البدو . ولكن لا العامية في مصر او في العراق او في مضارب البدو ، ولا الشعر الذي

# « الادب والحياة »

عدد ممتاز ب ١٠٠ صفحة

تصدره « الآداب » في مطلع نوار ( مايو )

[ العدد الخامس من اعداد هذا العام ]

يتناول مختلف الدراسات والقصص والقصائد  
التي تتصل بصميم حياتنا الفكرية والقومية والاجتماعية  
يشارك فيه نخبة من ادباء العالم العربي

بضع من قصائده ثم راح يدور عليها ويدور. ولشد ما يضايقني هذا التمثيل للحياة في حضن الطبيعة اللبنانية سعادة كلها ورغداً كلها ، فالفقر هنا هناء وغناء ولا نسيمة هنا ولا حقد ولا شقاء ، ولا يكاد يظهر في اطار هذه اللوحة من الطبيعة اللبنانية سوى الفجر والزهر والسواقي الربيعية واسراب المعزى والراعي والفلاح قانعين تغمرهما في عيشتهما المنعزلة عن ضجة المدينة نعمة وغبطة لا تعدلها نعمة ولا غبطة. اقول شداً ما يضايق هذا النحو من التصوير للحياة في حضن الطبيعة اللبنانية. وعبثاً نفتش في هذه الصورة عن اثر لما هو واقع الامر ، عن القرية اللبنانية تفوص في ديامس الليل ، لا كهرباء . يشرود اطفالها في ازقتها. تقيء وحلاً او ثور غباراً خانقاً ، ولا مدرسة ولا طريق . ويعطش اهلها ولا ماء يبيل الريق . عبثاً نفتش عن الفلاح الذي يتفاعل والارض ويبدع الارض ابداع خالق ولا يجد الا عقوق الحكماء ، ويرى القرش واللقمة بين يديه حلاً من الاحلام ، فيفش صدره بالتجديف .

بعد هذا ، اعود الى الشعر اللبناني بالعربية الفصحى وسواء منه ما تفجرت به ينابيع القرائح من شعراء لبنانيين في الارض اللبنانية نفسها او في ارض عربية اخرى او المغترب . هنا البعلبكي الشاعر الضخم خليل مطران ودواوينه مع ما حوت من روائع : « الاسد الباكي » و « الجنين الشهيد » و « تذكارات الطفولة » و « نيرون » و « بقايا قصائده في الطغاة » ؛ وهنا بشارة الحوري ، الأخطل الصغير و « هواه والشباب » ونفائسه التي لم يتم نشرها في مجموعات . وهنا الياس ابوشبكة و « افاعي

ينشأ بها قد زحزح الفصحى وشعرها ، بل قام بينها تعايش استمدت فيه الفصحى من العامية ، واستمدت فيه العامية من الفصحى بدليل ما نلمسه في الشعر اللبناني العامي من رقي وزناً وتعبيراً ، وحساً وفكراً وتصويراً . استمعوا لرشيد نخله في « محسن الهزان » ينقل هذه اللوحة من الطبيعة :

والسهل عشبو كان يوع موع الحرير      والليل من ضو القمر قطعة رخام  
والليل من ضو القمر لونو انجى      حتى الذهب خالط الفضة من الضحى  
وراح النسيم عالسهل يمشي سوسعا      واللوحا لردان محسن والكمام ا  
واستمعوا لميشال طراد ينشد :

قد يش قلبي تاه بصحاري الهوى  
مجرور قضى العمر غصات وبكي

فهذا الليل الذي جلاه ضوء القمر فاذا هو قطعة رخام ناصعة ، وهذا القلب الذي تاه بصحاري الهوى ، كسبان من الفصحى للعامية .

على ان الشعر اللبناني بالعامية مضطر - لكي يتسنى له الاطراد في الريق - ان يدفع بزورقه الى خارج هذا الخليج الصغير الذي مال الى حبسه فيه ، أردت بهذا الخليج الصغير تلك الموضوعات التي اصبحت تقليدية في الشعر اللبناني العامي ، الا وهي الغزل : بث عواطف الحب الفردي ، ووصف الطبيعة اللبنانية ، وتصور حنين المغترب وتشويقه للاياب . حوّم حول اغراض واحدة بالفاظ وصور ومعانٍ تتشابه وتكرر من شاعر الى شاعر بل من قصيدة الى قصيدة عند الشاعر نفسه حتى ليحس القاريء او السامع ان هذا الشاعر قد انفق نفسه بطائفة من الالفاظ والصور والمعاني اداها في

صوايا و « هتافه » وسابا زريق ونجيب اليان ومتفرقاتهما التي نسعها في المناسبات. وهنا رثيف خوري في « ثورة بيدباة » وفي قصائده التي مجّد بها النصر على الفاشستية والنازية وغنى بها السوفيات كما تصورهم واحسهم واحبهم في حقبة . وهنا نقولا فياض في « رفيف اقحوانه » . وهنا قبلان مكرزل في « خلوده » و « أنا طير شرود » . وميشال بشير و « غروبه » ( في صباح العمر ! ) و غنطوس الرامي و « سمره » وهنا ميخائيل نعيمة في « همس جفونه » التصوفي ، وهنا حلیم دموس الذي اخشى ان يكون قد مات واصبح مؤجلاً دفنه حفظه الله ...

وثمة عبر البحار ايليا ابو ماضي و « خمائله » الفواحة و « جداوله » الرقاقة حيث « المساء » و « الطلام » و « الطين » . ورشيد ايوب و « اغاني درويشه » و ندره حداد ، ونسيب عريضة والشاعر القروي ، رشيد سليم الخوري و « اعاصيره » ، والياس فرحات و « رباعياته » وديوانه . وثمة وهنا امين الريحاني وتجربته في الشعر المنثور ، والاشقة المعالفة : فوزي ونحفته : « بساط الريح » و شفيق و « عبقره » و « نداء مجاذيفه » و « لكل زهرة عبير » ، ورياض و « اوتاره المتقطعة » وغيرها . وثمة شكر الله الجر ، والياس فنصل ، وجورج صيدح ، ولا اعلم بعد هذا كله هل أنسيت احداً من اعيد عليهم القول ان نسياني اياهم لا يدل على محباً سوى جبلي وقصور الحافظة .

بلى نسيت ان انوه ببعض المقبلين على الشعر الواعد بنومس مبارك امثال جورج جرداق ورفيق المعلوف واحمد ابو سعد وقصائده « الدافئة » وجوزف نجيم وفؤاد الحشن وغيرهم .

ولأقل فوراً ان الشعر اللبناني بالفصحى العربية لا يبدي في حتمله ان سيتاح له ان يستقبل جيلاً طالعاً في المغرب يعني غناء الجيل الذاهب . فابناء مغتربينا يتأمر كون او يتبرزون لغة وثقافة ، وهذا مؤسف ان كان يجدي ان يأسف المرء تلقاء حكم صيرورة طبيعية . فاذا كنا نحصر ان تحيا هذه « الاندلس الشعرية » التي اقامها اللبنانيون عبر البحار ، فما علينا الا ان ندفع الى الغربة بالشعراء فوجاً بعد فوج ، واخشى ان يكون علينا ان نزودهم بالقراء ايضاً .

ان الشعر اللبناني ، بالعربية الفصحى ، حميم الصلة ، بهذا الشعر العربي الذي عرفه الينا التاريخ ينشأ في نجد في القرن السادس الميلادي ثم ينتشر بانتشار العرب واللغة العربية في آسيا وافريقيا وجنوب اوروبا ويتمرس بما تمرس به من عصور النهضة

فردوسه » و « الحان » و « نداء قلبه » و « وغلواؤه » و « الى الابد » ، عدا « الباكورة » و « القيثارة » . وهنا صلاح لبكي و « ارجوحة قمره » و « مواعيده » و « سامه » ، وهنا سعيد عقل وجهوده الطامحه او طامحه الجاهدة : « المجدلية » ، و « قدموس » و « رندلي » وباقي قصائده . وهنا امين نخله شاعر « دفتر الغزل » الذي يصقل الجوهر والحرز احياناً . وهنا يوسف غصوب الشاعر الناعم الانفاس في « قصه المهجور » و « قارورة طيبه » حتى « عليقته للمتهبة » . وهنا بولس سلامه و « عيد غديره » و « الامير بشير » . وهنا سليم حيدر شاعر « الآفاق » ولا اقول شاعر الوزراء ولا وزير الشعراء ، فاعظم الوزراء والشعراء جميعاً واطلمه اولاً . وهنا صلاح لببيدي الذي لا نشك في ان شعره الرقيق لم يكن هو الميزة التي اهله لمديرية الشرطة . وهنا رشدي معلوف و « اول ربيع » المزهري الذي وقفت عنده - فيما يظهر - فصول الموسم الشعري عند شاعرنا . وهنا وديع عقل وديوانه وشبلي ملاط وديوانه ، وامين تقي الدين الذي ما زال شعره وشعر نسيبه احمد تقي الدين ينتظران من يؤاويهما في ديوان . وهنا الدكتور حبيب ثابت و « افروديته » . وهنا ادفيك جريديني شيبوب في قصائدها المنشورة ، والياس خليل زخريا الذي يطالبه جميع محبيه بديوان . وهنا عاطف كرم ونفحاته « من هوانا » . وصلاح الاسير و « واحته » ويوسف الخال و « حريته » ومحمد يوسف حمود وانتقالاته في « زورق حياته » وميخائيل

## صدر حديثاً

### منشود

#### رواية لنسيب عازار

هي صورة لهذا العصر . جمعت بين الواقع والمثل الاعلى . يقول فيها الاديب الكبير ميخائيل نعيمة: « برهنت عن ذوق روائي رفيع في تصوير اشخاصك ... فالاشخاص من لحم ودم ، لا من خشب او قصب . والاحداث من صميم الحياة التي تحياها في كل يوم . لا من نسيج خيال أعور او أعشى ... الا بورك الألم يا اخي ، الذي منه هذه الحرارة ، وهذه الحلاوة ، وهذا الفن ، وهذا الايمان . »

#### منشورات دار المكشوف

السريع ولوّنه بالحوار الخاطف والوصف المقتضب على حيويته وبقي أبو نواس بعد هذا كله في حدود النوع الغنائي بل أغرق فيه أغراقاً . ومثله المتنبي الذي هياه عصره وعبقريته لإبداع ملحمة عربية رائعة ( وقد وثب حقاً بالشعر العربي الى اقرب نقطة من الملاحم في سيفياته ) لبث هو ايضاً في حظيرة النوع الغنائي . ومثله المعري في شعره التأملي قد اقام على الغنائية ، لا يتخطاها .

الخلاصة ان الشعر العربي الذي ورثناه قد خلا من القصص حقاً ، ومن الملاحم والمسرحيات ، واكتفى اكتفاءً بالنوع الغنائي . والشعر الغنائي كما نعلم يمتاز بأنه الشعر الذي يدور فيه الشاعر مباشرة وصراحة على محور من نفسه يستغرق في ذاته : افراحها وكآباتها ، آلامها واحلامها ، وخواطرها في الوجود والمصير الانساني . الشعر الغنائي اسلوباً ومحتوى هو «أنا» الشاعر ، هو هتافه الذي تلح به عليه التجارب الفردية .

وبين سمات الشعر العربي ولعله باللقيات العبارية تتمثل في كناية او عبارة وما أشبه . فالكواكب عند بشار ليست كواكب بل هي قناديل السماوات . والشباب عند ابي نواس - التتمة على الصفحة ٧٨ -

فالأنحطاط فالنهضة حتى رأينا تياراته تمور وتوج على ما هي عليه الآن في أصقاع الشمال الافريقي ومصر والسودان ولبنان وسوريا والعراق والجزيرة العربية وشرقي الاردن وفلسطين قبل ان يخونها الضمير العالمي وبعض الضمير العربي واخجلتناه ! وسواء اكان الشعر اللبناني المعاصر ، المنظوم بالعربية الفصحى ، مضروباً على غرار الشعر العربي الجاهلي ، ام منسوجاً على منوال الشعر المولد العباسي والانديلسي ، ام ملقحاً بلقاح الآداب الغربية التي اتصل بها شعراؤه ، فانه على كل حال شعر عربي وامتداد الشعر العربي بين تقليد وتجديد .

ومن هنا كنا لا ندين ملامح هذا الشعر اللبناني المعاصر في واقعه حق التبين ؛ ولا نستطيع ان ندرك ما ينطوي عليه محتمله من امكانيات ، الا اذا التفتنا الى تاريخه البعيد والقريب فوعينا ما خص به من خصائص وما تفرس به من تجارب .

\*\*\*

عرف الشعر العربي ، بقلة الاشكال التي تجسد فيها من قصيدة تتكسد ابياتاً ضعف الرابطين معانيها واختلفت احياناً مواضعها ولم تجمعها سوى وحدة الوزن والقافية ، الى موشح الى مخمس الى ارجوزة . والشعر العربي مع ما يتسق له من الايقاع الموسيقي المطرب والمشجي قد ضيق قلبه تضيقاً وصلبه بالتزامه الوزن الواحد والقافية الواحدة فقصر على نفسه مدى الشوط وتعرض للرتابة والوتيرة الواحدة في النغمة وتعرض احياناً للاكتفاء بالرنة الجوفاء التي تعجب الاذن ولا يصل صداها للنفس . والشعر العربي قد عرف كذلك بفقره في الانواع بل بالتزامه حدود نوع واحد هو الغنائي ، وكل هذه الاغراض والفنون التي يذهب فيها الشعر العربي من غزل الى فخر وحماة ورتاء ومدح وعتاب واعتذار وهجاء وخمرات وزهرات وحكم وزهديات ووصف هو القاسم المشترك بين هذه الاغراض جميعها ، إنما تتفرع وتخرج لتعود فتنصب في البوتقة الغنائية . قد تجدد بعض هذه الاغراض التي سلكها الشعر العربي تحمل عند بعض الشعراء خصائص من القصص ونفحات من النفس الملحمي وملامح من الشعر التمثيلي تتجلى في شيء من الحوار ، ولكن ذلك كله يجيء في اطار من الشعر الغنائي . ابو نواس الذي ثار ثورته المشهورة على الشعر الجاهلي انجس المدى الابعد الذي بلغت اليه ثورته في السخرية من الوقوف بالاطلال وفي التفنن في بعض صور التعبير وفي اخراج بعض المواضيع القديمة ( الحمر ) مخرجاً جديداً ادخل فيه القص

أسهل طريق للنجاح في الامتحانات  
يمهدا للطلاب

## رايدال بكالوريا

وضعت لجنة من اساتذة البكالوريا وفقاً لمنهج التعليم  
البناني الذي يطبق في امتحانات البكالوريا عام ١٩٥٥

كل جزء من أجزائه يحتوي :

- موضوعات مدروسة
  - موضوعات مخططة
  - مقدمات عامة واسئلة
  - قسم خاص بالنقد والترجمة
- ظهر ثلاثة اجزاء من حلقة الادب العربي

دار العلم للملايين ثمن النسخة ليرة لبنانية واحدة

## الشعر اللبناني المعاصر

— تمة المنشور على الصفحة ٧ —

ليس شباباً بل هو مطية الجهل. والسيوف عند أبي تمام ليست سيوفاً بل هي ضمائر الأعماد. والصدور عند المتنبي ليست صدوراً بل هي مجامع الاضغان. والشيب عند الشريف الرضي ليس شيباً بل هو وقائع الدهر؛ والخمر عنده لا تسكر شاربها ولا تذهب بعقله بل تمكر به .

والشعر اللبناني المعاصر ( يصدق ما أقول على فصيحته وعاميته ) هو في صميم التراث الشعري العربي من حيث ينغمس في الغنائية انغماساً وان يكن قد شق كثيراً من النغمات الجديدة في بعض الفنون الغنائية ولا سيما الغزل وتصوير الطبيعة ؛ نغمات تختلف به عن الشعر العربي التقليدي... والشعر اللبناني المعاصر باق الى ذلك في صميم التراث الشعري العربي من حيث يغلب عليه شكل القصيدة وأن يكن قد ظهرت فيه مظاهر التحرر من ربة هذا قالب . والشعر اللبناني المعاصر لا يفتأ في صميم التراث الشعري العربي من حيث يكدمح في التماس اللقيات العبارية .

لننظر في القدر الأعظم من شعر الشعراء الذين احصيتهم وعددت آثارهم ، فسرى ان النوع الغنائي يطغى عليهم وان القصيدة هي الشكل المتسلطن على انتاجهم ، وانهم لا يفرحون بشيء فرحهم بلقمة عبارية يستطيعون بها تعجب القاري والسامع وأحياناً تعجزه ساعة يسرف بعضهم بهذه الرمزية التي شغفوا بها زياً من الازياء . فصاحبنا سعيد عقل لا يطيب له أن يقول وجود عدوان على كل مقدس في القيم وتحقير لأجل ما في الخلق ، فيقول :

جرح على النور الهوان !

مكتبياً عن القيم المقدسة وعن اجل ما في الخلق بالنور وعن العدوان والتحقير بالجرح . هذا بالطبع اذا صح فهمي لهذه الاحجية التي 'لقت' في عتمة من الاجهام ولعل ذلك لان النور مجروح !

وما اراني محتاجاً الى ان اثبت كيف يستبد شكل القصيدة الواحدة بالنظم في الشعر اللبناني المعاصر ، فهذه نيرونية مطران تشهد . لقد اركبه فيها الوفاء للقاوية الواحدة مركباً وعراً شوّه من روعة القصيدة بكثير من العويص حتى سمعنا « طيراً » و « ارباراً » ، ولا ازيد .

وحسي للدلالة على استئثار الغنائية بالشعر اللبناني المعاصر

مطولة بولس سلامه التي سماها ملحمة « عيد الغدير » . لنستمع له يقص علينا بشعره المحكم المتين قصة مسلم بن عقيل عم الحسين ابن علي وقد اصيب من جند الامويين بضربة سيف صادفت فمه ، ثم اتى به الى ساحة قصر الوالي الاموي عبيدالله بن زياد، يتلظى عطشاً . فطلب قدحاً من ماء فجاوه به غلام ، فجعل يحاول ان يشرب فيمتمليء القدح دمماً .

|                           |                              |
|---------------------------|------------------------------|
| وأناه فتى بشربة ماء       | ودعاه فأمسك الفنجانا         |
| كلما رام ان يبل شفاها     | ابصر الحام من دم ملأنا       |
| حاول الشرب مرتين فصدت     | سكبة الدم مسلماً صديانا      |
| ثم رام المص الأليم ثلاثاً | فاذا الفك يلفظ الاسنانا      |
| ملأ الكأس دمه والثنايا    | فرمى الكوب يائساً حرانا      |
| قال: ربه ان يصيب البرايا  | غير ما شئت ، فاسقني ايماناً! |

ثم ادخل مسلم قصر عبيد الله :

جيء بالث دامياً وعبيد الله يخال يسحب الطلسانا !

والسحب الشعري ، الى هنا ، قصصي أو ملحمي ، ولكن ما ان يبلغ هذا الحد حتى يعدل بنا الشاعر عن النهج القصصي الملحمي لسمعنا صوته الخاص ويهجو عبيد الله بن زياد ويستطرد في تأملاته الغنائية حول اثر الأصل في الانسان ، يشير الى ان زياد بن أبيه ، والد عبيدالله ، كان مشكوكاً في اصله :

|   |                            |
|---|----------------------------|
| والذي يؤلم النفوس ويديمي                              | ان تلف الطليس العبدانا     |
| يثقل المترف الهجين على الأبصار فالعين لا تطبق الرابنا |                            |
| دونه وطأة الشوامخ ثقلاً                               | ان تباهى وجرر الأردانا     |
| انما النوع بالأرومة يزكو                              | وشذاها يطب الاغصانا        |
| انما ينكر الوارثة غر                                  | من يقل (صار) لايفس (بكانا) |
| وعجيب ان يهمل الناس نسلاً                             | وترام يؤصلون الحصانا !     |

وما أريد بوجه ان يفهم من قولي أنني أحمل على الشعر الغنائي ولا اتذوقه ، فانامن يذهبون الى الرأي ان لا شعر بلا غنائية . فالشاعر سواء أنشدنا شعراً غنائياً ظاهراً ، أم اخرج لنا ملحمة او مسرحية ، لا يبرأ من الغنائية في كل حال ، وانما يكون غنائياً بسمعنا صوته الخاص ويبتنا ميوله وانفعالات نفسه صراحة ومباشرة في الشعر الغنائي ، ولكنه في الشعر الملحمي والقصصي يخفي ميوله في تسيير حوادث القصة ، ويواري صوته في حوار اشخاصها وابطالها . على ان صوته وميوله تصلنا في هذه الحال عبر قطعة من الحياة ، تنقل الينا ؛ وبالتالي يصلنا صوت الشاعر وميوله وقد غني في الملحمة المسرحية بالتفاعل وتجارب غيره .

وهنا السر كله . هنا السر في ان الشاعر الملحمي او المسرحي يكون ابعد من الشاعر الغنائي عن ان يصيبه الفقر والنضوب . فهو يجد اماً في حاضر الحياة حوله واما في التازيخ القومي والانساني مستمداً يعرف منه ، بينما لا يجد الشاعر الا نفسه وحدها يعرف منها ، ونفسه وحدها لا تفي بجأته الا اذا كانت نفساً خارقة في

تفتحها وقدرتها على استيعاب حركات الحياة وترجمتها الى لغة من عواطفها وتأملاتها الخاصة . ولكن هذا قليلاً ما يكون . او هو في الشعراء اللبنانيين المعاصرين اقرب الى ان يكون معدوماً منه الى ان يكون موجوداً . « ما دامت ذات الشاعر تملأ عليه ذاته فانه يكون فارغاً من كل شيء » : يقول رينه حبشي في محاضرة له « من رامبو الى كلوديل » . وما أصح من قول .

واسترسال الشاعر اللبناني المعاصر في الغنائية متكلاً على نفسه يغترف منها في تجاربه المحدودة هو الذي يفسر لنا السرعة التي يزهر بها هؤلاء الشعراء ويدوون ، فيصمتون أو ينصرفون الى اجترار ذواتهم في شعر مكرر يعملون فيه على تجويد قالب او تغييره . ونرى مصداق ذلك في ميشال طراد ، فان غنائياته الاولى ورائع في عفويتها وحرارتها وجمالها . بيننا غنائياته اليوم تشكو تعب الصنعة . ومصداق ذلك ايضاً نجد في سعيد عقل الذي يلهم نفسه اليوم بان يسبك بالعامية ما سبكه بالفصحى . وفي صلاح لبكي الذي افضى من باب « سأمه » الى مدح الملوك اسوة (ربما) ببشاره الحوري الذي قص جناحاه من قبل فحزن عليها الفضاء والشمس . يبقى انني معجب حقاً بما استطاع نفر خلاق من الشعراء اللبنانيين في مدى ربع القرن الذي فات ان يحققوا في ميدان التفلت من قبضة الغنائية التقليدية اما بادخال الجديد على هذه الغنائية او بالتوجه شطر المحاولات المسرحية والملمحة . وفي هذا النفر اذكر اولئك الشعراء الذين تناولتهم بقسوة بأي : جاهرتهم بالحقيقة ، بشاره الحوري وايليا ابو ماضي وسعيد عقل في مسرحيته قدموس خاصة ؛ وبولس سلامه في « عيد العذير » وصلاح لبكي في « سأمه » ، واضيف اليهم الياس ابو شبكة وبوسف غصوب وخليل مطران الذي اوتي من موهبة الوصف والقص والحوار ومن احكام وحددة العمل الشعري وتركيزه على الموضوع واوتي من الثقافة عامة ما كان يخوله ان يوجد الملمحة بالشعر العربي ، ويعني خزانته الفقيرة الى المسرحية .

إلا ان شيئاً من هذا ما ينبغي له ان يذهلنا عن ان الشعر اللبناني في واقعه اليوم يكابد أزمة . وفي جيل الشعراء الجدد في مصر والعراق من لا يبشر جيل شعرائنا الجدد بأمثالهم .

اقول قولي هذا واستغفر الاشعاع اللبناني الذي نربأ به عن ان يتحول الى محض لفظ تنبجح به !

لنسأل انفسنا : اين هي الملمحة اللبنانية ؟ ومن الذي يعد اليوم مسرحيته شعراً ؟ ومن الذي يعالج اليوم سكب الشعر في قوالب جديدة ؟ وأي شعر يصدر عنا الا هذه المجموعات من قصائد بل مقطعات خفيفة يسيرة لا تتصل بتجربة ذات بال

ولا تطرح مشكلة ولا نحلها .

وكثيرة هي الاسباب التي يمكن ان يعلل بها هذه الازمة . على انني كيفما قلبت الرأي وجدتي ازداد يقيناً بان شعراءنا كسلون . الشعر الغنائي لا يحتاج الا الى عناء نظم ابیات معدودات في امرأة تشوقنا او لوحة طبيعية تروقنا ، او مناسبة ما ؛ فاما المسرحية والملمحة فتحتاج الى نظم الابيات التي ربما بلغت الالوف عدداً ؛ وتحتاج الى تأليفها مقيدة بالموضوع والى دقة وتوسع في الوصف والقص والحوار ؛ وكل ذلك يوجب صبراً على المشقة ويوجب معرفة وثقافة . ولذلك يقبل شعراؤنا على النوع الغنائي لانهم يستسهلونه .

وكيفما قلبت الفكر وجدتي ازداد يقيناً بان النقد عندنا لا يؤدي واجبه . فالنقد هو الذي يتحتم ان يدل الشعراء على ما نفتقر اليه من شعر وان يقترح عليهم ويوجههم الى سد هذا الفقر . فان النقد الذي يبين ما الملمحة وما المسرحية ، وكيف يكون الشعر الذي يستحبه الاطفال ( وهو فن يعوزنا جداً ) أين النقد الذي ينبه الشعراء على ان هذا الموضوع التاريخي ، او الموضوع القائم في حياتنا اليوم يصح ان تعقد عليه مسرحية او ملمحة ؟

وكيفما قلبت الفكر وجدتي ازداد يقيناً بان المسؤولين عندنا يعوزهم بذل التشجيع الذي يشر ان كانوا يقصدون الى التشجيع الذي يشر للادب . فماذا يضر لو انشئت في الجامعة اللبنانية كلية آداب وجعل منها فرع لتعليم الشعر ودراسة فنونه !

اننا وسواء اكننا في لبنان ام في الاقطار العربية ام في صقع من أصقاع الدنيا ، نسير - وأخشى ان نكون نجر - في ركاب عصر يفور ويثير من قضايا الجد في مصير وطننا الصغير ومصير البلاد العربية كلها ومصير كل وطن في الدنيا ما لم يثره عصر من قبل . معنى الاستقلال الوطني ، قيمة الشخص الانساني ؛ صلة المواطن بالمواطن والانسان بالانسان والانسان بالخالق ؛ وجود الفقر ووجود الغنى ؛ العدالة الاجتماعية ام اليد المطلقة للاستثمار ؛ بقاء المدنية ونموها ام نسفها بالذرة ؛ الغاية تبرر الوسيلة ام لا تبررها ؛ الحقيقة نسبية ام مطلقة ام لا حقيقة البتة ؛ كل تلك قضايا جدية يثيرها عصرنا باصرار وينبغي للشعر ان يتحدى هذه القضايا الجدية بالخلق الشعري الجدي الذي يكون قوة فاعلة لا الهوة ولا زينة ولا عبارة عن محض قلق وارتباك ودوار يصيب بعض الرؤوس في العاصفة ...

رئيف خوري